

سلسلة
المغامرين الاذكياء

بيت الأسرار

مسدد ضوئي
طارق

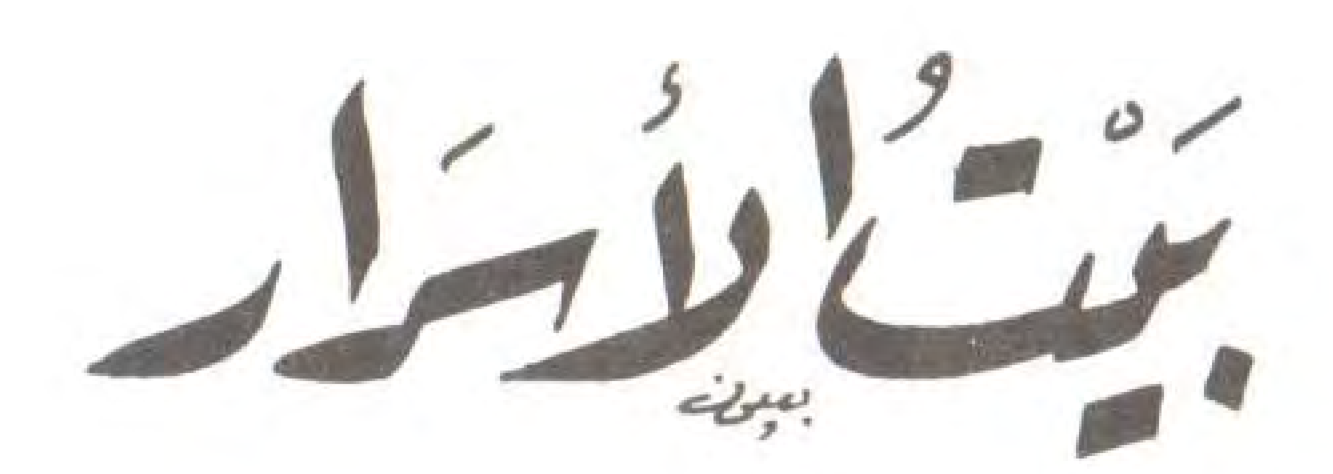


٥





المغامرون الأذكياء



إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس



للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
الطبعة السادسة مصورة بالأوفست عن الطبعة السابقة : ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

ضياع في الطريق

رنّ جرس التلفون في منزل المفتش جميل ، فرفعت السيدة سعاد السماعة وقالت :

— « آلو » نعم .. مَن ؟.. ليلى ؟.. أهلاً يا ليلى .. من أين تتكلمين ؟

أجابت ليلى :

— من بيت خالتي .. لقـــد جئت أنا وأخي عصام إلى هنا لزيارة ابنـة خالتي هيفاء .. سنعود الآن ، فهل خالد ووليد في المنزل ، أم لعلهما خرجا ؟

أجابتها سعاد :

— إنهما في انتظاركما .. انتظري لحظة حتى أنادي خالداً ..

أسرع خالد ملبّياً نداء أمه التي قالت :

— إنها ليلى ..

اختطف خالد سماعة التلفون وقال :

– « آلو » ليلى .. لماذا تأخرتما ؟

أجابته ليلى :

– سنحضر خلال نصف ساعة .

نظر خالد إلى ساعته وقال :

– لقد تأخر الوقت يا ليلى،قولي لعصام أن يكون على حذر .

أجابته ليلى :

– ها هو ذا عصام يريد محادثتك ..

وسمع صوت عصام يقول :

– سنصل قبل أن يبدأ الفيلم .

أجابه خالد :

– ليس المهم أن تصل قبل بدء الفيلم يا عصام .. إن الظلام حالك..ومصباح «الفاسبا» – الدراجة النارية – ضعيف،ونوره ليس كافياً في مثل هذا الطريق الخافت الإضاءة .. لا تسرع .. أرجوك .

قال عصام موضحاً :

– لن آخذ الطريق الرئيسي .. سآخذ الطريق العسكري ، فهو أقصر كثيراً .

هتف به خالد محذّراً :

– إياك يا عصام .. إنه كما تعلم طريق خطر ومهجور .

ضحك عصام في استهتار وقال :

– ماذا أسمع ؟!.. أيخاف رئيس فرقة المغامرين ؟

أجاب خالد وقد نفد صبره :

– عصام.. أنا لا أمزح.. إياك وسلوك الطريق العسكري !

ازداد عصام ضحكاً لجزع صديقه وقال :

– إن ليلى لا تخاف، فما الذي دهاك يا خالد ؟ المهم أن نصل إليكم قبل بدء الفيلم،فسيان أن نأتي من الطريق العام أو أن نأتي من الطريق العسكري .. إلى اللقاء بعد نصف ساعة .

ردّ خالد بغيظ :

– إلى اللقاء يا عصام ..

قال هذا وجذب بسماعة التلفون في غضب مكتوم ، ووقف برهة لا يقول شيئاً حتى سألته أمه :

– ماذا حدث ؟ سمعتك تصرخ وكأنك في خصام ؟

أجابها شارحاً :

– هـذا المجنون عصام .. من أجل أن يوفر ربع ساعة من الوقت، يأخذ الطريق العسكري ، فيعرّض نفسه وأخته لمتاعب لا لزوم لها .

فكرت سعاد قليلاً ثم قالت باستغراب :

– الطريق العسكري ؟.. أليس هو الطريق الذي شقّته القوات البريطانية في سنوات الحرب العالمية الثانية ؟.. ولكنه طريق مهجور كما أعلم .. وهو شديد الوعورة لإهماله مدة ثلاثين عاماً ..

أجابها خالد :

– هو ذاك .. وقد شُقّ كما تعلمين لأغراض عسكرية بحتة .. ولذلك أهمل أمره بعد جلاء القوات البريطانية ، ولم يدخله أي إصلاح حتى اليوم، مما جعله ملآن بالحفَر الخطرة ، إلى جانب أنه مظلم تماماً ..

هزّت سعاد رأسها بأسف وقالت :

– ولِمَ هذه المخاطرة ؟ ألا يعلم أن شقيقته معه ؟

أجابها خالد :

– لقد حذّرته ، ولكنه أحمق .. إنه يريد أن يصل قبل بدء الفيلم .. ولكني أخشى ألاّ يصل أبداً .. صدق مَن قال : « عليك بالطرق ولو دارت ».. على كل حال سأمضي إلى الشرفة أترقّب وصولها .. وأرجو الله ألاّ يحدث لها ما يعكر علينا صفو هذه الليلة ..

ومضى إلى الدرج فوقف على رأسه ونادى بصوت عالٍ :

– وليد .. اصعد والحقني إلى الشرفة .

واستدار خالد ومضى في طريقه إلى الشرفة ، فترك « سرور » مكانه وسار واضعاً يديه في جيوب سرواله ، وحين مرّ بصديقه « فصيح » رمقه بنظرة جانبية كأنه يحذّره من أن يتطاول عليه بلسانه اللاذع ، ولكن « فصيح » لم يتعرّض له بأذى ، وتركه حتى وصل إلى الشرفة بسلام .

وصعد وليد واتجه نحو الشرفة هو أيضاً عندما صاح « فصيح » :

– وليد حبيبي .. وليد حبيبي !..

نظر إليه وليد باسماً ، وقال :

– وليد حبيبك ؟ ومنذ متى كنت تحمل لي هذه العواطف الجيّاشة ؟ وإلى متى سأبقى حبيباً لك ؟

عاد « فصيح » يقول :

– وليد حبيبي .. وليد حبيبي ..

أجابه ضاحكاً :

– صدقتك يا « فصيح » .. وأنت حبيبي كذلك ..

قال « فصيح » بفرح :

– وليد حبيبي .. « سرور » حمار ..

هزّ وليد رأسه الضخم واستأنف سيره إلى الشرفة حيث كان خالد واقفاً ينظر إلى نهاية الطريق في قلق ظاهر ، فقال له :

– ما هذا الوقوف في الظلام ؟ هل تنتظر شيئاً يخرج لك من

هذا الظلام الحالك ؟

أجابه دون أن يلتفت إليه :

– إنني أنتظر ظهور نور « الفسبا » .. إن هـذا المجنون قد أصرّ على المجيء من الطريق العسكري .

وللمرة الأولى يبدو وليد سريع الفهم فيقول مستنكراً :

– أعوذ بالله .. غير معقول .

أجابه خالد :

– أنا لم أشأ أن أسبّب لأمي الجزع .. لذلك لم أصرّح لهـا بحقيقة الأخطار الكامنة في هـذا الطريق اللعين .. إنه أخطر طريق في المنطقة كلها .. فقطّاع الطرق ، والمهرّبون هم وحدهم الذين يستعملونه ويتخذون من بقايا الأبنية التي على جانبيه أوكاراً لهم .. ورجال الشرطة يهـاجمونه بين الحين والآخر ليفاجئوا المجرمين في أوكاره المظلمة .

سأله وليد مستغرباً :

تقول : أبنية ؟ أية أبنية ؟.. إنها يا خالد بقايا المعسكرات البريطانية ..

قاطعه خالد قائلاً .

– أعلم هذا .. ولكن هناك إلى جانب المعسكرات أبنية ضخمة أقامها البريطانيون لتكون مكاتب لموظفي الإدارة وللضباط .

هزّ وليد رأسه علامة الفهم ، وقال :

– وماذا حدث لهذه الأبنية ؟

أجابه خالد :

– لقـد باعها البريطانيون مع ما باعوه من مخلفات الجيش البريطاني عند الجلاء عن البلاد .

فسأله وليد :

– وماذا صنع بها الذين اشتروها ؟

أجاب خالد :

– طبعاً لم يشتروها للإقـامة بها ، بل لكي ينزعوا منها ما يمكن نزعه وبيعه في السوق كأنقاض ، فخلعوا النوافذ والأبواب وأشياء أخرى ، وتركوا الجدران وما لا يمكن حمله .

سأل وليد :

– ولكني أذكر أنني مررت يوماً من ذلك الطريق فرأيت أبنية لم تنزع نوافذها وأبوابها ؟

فقال خالد مفسّراً :

– الذي رأيتـه لم يكن معسكرات للجنود ، ولا مكاتب للإدارة .. بل كان دارات فخمة بناها الجيش البريطاني لتكون منازل لكبار الضباط والقادة .

عاد وليد يسأل في بلاهة :

– ولماذا لم يحوّل المشترون هذه الدارات إلى أنقاض كما فعلوا بالمعسكرات ومكاتب الإدارة ؟

أجابه خالد وقد بدا عليه الضجر من أسئلة وليد الصبيانية :

– يا صديقي.. هذه الدارات لم يشترِها التجار لتحويلها إلى أنقاض ومخلفات ، بل اشتروها ليبيعوها بعـــد ذلك إلى بعض الأثرياء الذين اتخذوا منها منتجعات لهم يمضون فيهـا إجازاتهم كلما أرادوا الهرب من ضجيج المدينة وزحامها.. هل فهمت الآن؟

وتظاهر وليد بأنه قد فهم وقال :

– نعم فهمت .. ولكن معنى هذا أن هذه الدارات مأهولة الآن ؟

نفد صبر خالد فقال :

– قلت لك ليس دائماً .. في بعض الأحيان فقط.. في بعض الأحيان فقط .. ولكن يا لله !.. ألا تكفّ عن هـذه الأسئلة السخيفة ؟ ألا ترى أن من الأجدى أن نتساءل لماذا لم يصل عصام وليلى حتى الآن ؟

ونظر إلى ساعته الفسفورية المضيئة واستأنف يقول :

– لقد مرّت ساعة كاملة على خروجهما من منزل هيفاء بنت خالتهما ، وكان المفروض أن يصلا قبل نصف ساعة ..

وتناهى إلى أسماعهما صوت السيدة سعاد تقول :

– خالد .. وليد .. أين أنتما ؟ لقد بدأ الفيلم .

دخلا إلى حيث جلست سعاد تشاهد مقدمة الفيلم ، وقالت :

– لقد تأخرت ليلى وعصام .

كان القلق بادياً على وجه خالد فقال :

– لقد مرّت ساعة كاملة على الموعد الذي حدّداه .

جلس وليد وهو يقول بعدم مبالاة :

– إنك أصبحت ضعيف الأعصاب ، تخاف وتتوجّس من كل شيء .

وبالرغم من أن الفيلم كان من النوع البوليسي الذي يحبه خالد ويترقبه ، فإن مرور الوقت جعله يترك مكانه ويخرج مرة أخرى إلى الشرفة ليعاود التحديق في الظلام وقد ازداد توتر أعصابه .

ويبـدو أن أحداث الفيلم كانت مثيرة ، فلم ينتبه وليد ولا سعاد إلى غيـــاب خالد ، فمضى الوقت وهو يكاد يجنُّ لشدة ما انتابه من خوف أن يكون عصام قد ركب رأسه ونهج الطريق الرهيب الذي حذّره من انتهاجه .

وترك الشرفة مرة أخرى وعاد إلى الصالون . كان الفيلم قد شارف على نهايته . قال مخاطباً والدته :

– ماما.. لا شك أن أعطالاً حدثت مع ليلى وأخيها عصام، سأذهب ووليد على دراجتي النارية ونمرّ في الطريق فقد يكونان

في حاجة إلى مساعدة .

نظرت سعاد إلى ساعة يدها وقالت :

– نحن في منتصف الليل يا خالد.. لو أن والدك هنا لتصرّف بشكل يغني عن خروجكما .

أجابها بإصرار ورجاء :

– ولكن لا يمكن أن نبقى هنا نشاهد الفيلم ، بينما عصام وليلى في مأزق ، أو ربما كانا في حاجة إلى مساعدة .

كانت سعاد قلقة مثل ابنها ومتوترة الأعصاب ، فقالت :

– لا بأس يا خالد.. ولكن لا تتأخروا فأنا وحدي في المنزل وقلقة جداً .

وعدها خيراً وهتف منادياً « فينو » الذي أسرع يهبط الدرج قبله ، أما « سرور » فقد اختصر الطريق وهبط بقفزة واحدة عن طريق الشرفة ليلقاهما أسفل الدرج .

أما « فصيح» فاستقرّ بهدوء فوق كتف خالد الذي كاد لشدة توتر أعصابه أن يأمره بالبقاء في المنزل، ولكن هاتفاً خفياً هتف به من أعماقه جعله يغيّر رأيه ويسمح له بالذهاب معهم .

وأخرج دراجته من مرآبها ومعها مقطورتها ، فركب كلٌّ في مكانه بهدوء وصمت ، وقال خالد :

– إليك بهذا المصباح يا وليد .. أما أنا فمعي واحد آخر .

وانطلقت دراجة « الفسبا » بقدر ما سمح لها محرّكها من سرعة حتى وصلوا إلى الطريق المعتاد ، فانحرفوا إليه ، وانطلقوا حتى قطعوه وبلغوا نهايته ، ولكنهم لم يصادفوا أحداً في طريقهم .

قال خالد وقد توجّس خيفة :

– ما دمنا قد صرنا في هذه الناحية فلنذهب إلى منزل هيفاء فإنه أصبح قريباً منا ، فربما كانا لا يزالان هناك ولم يرحلا .

وللمرة الأولى يفكر وليد تفكيراً منطقياً إذ قال :

– لو كانا لا يزالان هناك لحدّثونا تلفونياً ..

كان وليد على حق ، ومع ذلك لم يُصغِ إليه خالد ومضى إلى بيت هيفاء ، وصعد الدرج مسرعاً ودقّ الجرس ففتحت له أم هيفاء التي هتفت في دهشة واستغراب :

– خالد ؟!

أجابها متلعثماً :

– آسف لحضوري في مثل هذه الساعة المتأخرة ، ولكني جئت أطمئن على عصام وليلى .

امتقع وجه المرأة وقالت بهلع :

– عصام وليلى ؟! لقد ذهبا إلى منزلكم منذ ثلاث ساعات .

وجم خالد لحظة ثم قال :

– منذ ثلاث ساعات؟.. ولكنهما لم يحضرا.. ترى هل عادا

إلى منزلهما ؟

كانت هيفاء لا تزال مستيقظة ، وسمعت جرس البـاب ثم حوار أمها ، فتركت غرفتها وجاءت تستطلع الخبر ، فلما رأت خالداً ووليداً وجف قلبها وقالت :

– خالد ؟.. ماذا جرى؟ هل حدث مكروه لعصام وليلى؟

أجابها وهو يحاول أن يكون هادئاً :

– لقد جئت لأسأل عنهما .. لم يصلا إلى منزلنا فظننت أن دراجتهما قد تعطلت .

قال وليد وقد بدأ يحسُّ بالقلق الآن فقط :

– اتصلوا بالمنزل ، فربما عادا إلى هناك ...

قاطعته هيفاء قائلة :

– لا حاجة إلى أي سؤال .. إنهما خرجا من هنـا إلى منزل خالد مباشرة، ولقد حاولت عبثاً أن أثنيهما عن عزمهما ، ولكن « عصام » اعتذر بأنه على موعد معك لمشاهدة الفيلم .

أجابها خالد :

– هـــذا صحيح .. ومع ذلك فلن نخسر شيئاً إذا اتصلنا بمنزلها ومنزلنا ، فربما وصلا بعد رحيلنا .

واتصلت هيفاء بمنزل خالتها ، وحتى لا تثير في نفسها القلق قالت :

– « آلو » خالتي .. هل نمتم ؟ هل شاهدتم الفيلم البوليسي ؟ أعطني ليلى لأسألها عن رأيها فيه .

وعادت تقول بعد دقائق أصغت خلالها إلى حديث خالتها :

– ظننت أنهما عادا إلى المنزل .. آسفة يا خالتي .. تصبحين على خير ..

واتصل خالد بمنزله فأجابته أمه سعاد في لهفة :

– خالد .. من أين تتكلم ؟

– أجابها باقتضاب :

– من منزل خالة أم هيفاء .. ألم يصلا بعد ؟

أجابته وقد توجّست خيفة :

– لا يا خالد لم يصلا بعد .

قال بهدوء :

– سأعود فوراً يا ماما .. ربما كانت الدراجة قد تعطلت بهما.

قالت سعاد :

– لا تتأخر .. وإذا حدث ما يؤخركم فاتصل بي لأطمئنّ .

أجابها بهدوء :

– اطمئني يا ماما .. وإذا حضرا قبل وصولنا فلا تتركيهما يذهبان للبحث عنا لأننا في الطريق إلى المنزل .

ووضع السماعة ، فقالت هيفاء وهي تكاد تبكي :

– ترى أين ذهبا ؟.. أخشى أن يكونا في مأزق بسبب هذه الدراجة اللعينة .

أجابها خالد متسائلاً :

– ألم يخبراك أي طريق سيسلكان ؟

قالت هيفاء بعد لحظة تفكير :

– آه .. تذكرت .. كان عصام يقترح سلوك الطريق العسكري ، وكانت ليلى تعارضه ، فسمعته يقول لها : إنه الطريق الوحيد الذي يمكنهم من اللحاق بالفيلم من بدايته .

اكتفى خالد بما سمع ، وقال وهو ينصرف مسرعاً :

– اطمئني سأذهب من هذا الطريق لأبحث عنهما ، وسأطمئنكم بمجرد وصولنا إلى المنزل .

وهبطا الدرج بسرعة وانطلقت بهما الدراجة ، فقال وليد :

– لقد ركب عصام رأسه وسلك الطريق الوعر .. سنجده واقفاً إلى جوار الدراجة المعطلة كعادته .

أجابه خالد وقد أطلق لدراجته العنان :

– أتمنى ذلك يا وليد .. إنها طريق خطرة ولا سيما أن معه فتاة .

وبعد ربع ساعة تقريباً انحرف خالد بالدراجة في طريق قليل الضوء وقال :

– ها هي ذي بداية الطريق .. أشعلْ مصباحك وسلّطْ نوره على جانب الطريق الأيمن ، ثم على الجانب الثاني ، وهكذا .. فإن مصباح دراجتي خافت لا يفيد .

وقطعوا من الطريق قرابة النصف عندما بدأت سلسلة من المباني الضخمة الغارقة في الظلام ، فقال خالد :

– هذه هي منطقة المباني الإدارية للجيش البريطاني ..

نظر وليد مسلّطاً شعاع مصباحه على أحد المباني وقال :

– يا لها من مبانٍ كئيبة قابضة للنفس !

أجابه خالد :

– هذا شأن كل شيء مهجور يلفه الظلام .

وتابعت الدراجة سيرها ، وفجأة هتف خالد وهو يوقف الدراجة :

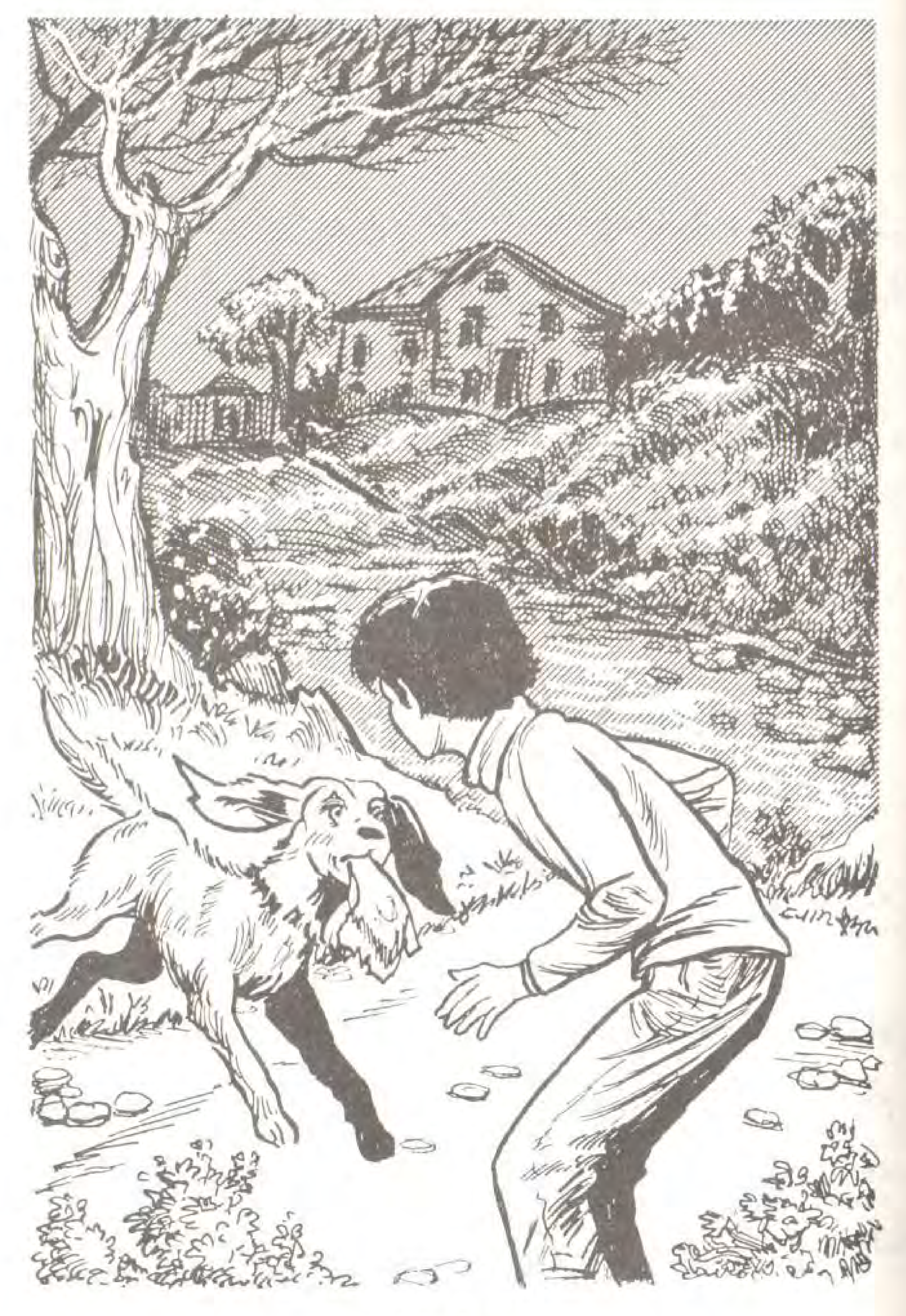
– وليد .. سلّط الضوء هناك .. تحت هذه الشجرة .

وسلّط وليد الضوء فشاهدا قطعة معدنية تلتمع تحت الضوء فقال خالد :

– إنها رفرف العجلة .. هلمّ معي .

وهبطا ثم أسندا الدراجة إلى جانب الطريق الساكن ، وسارا حتى وصلا إلى الشجرة .

انحنى خالد ورفع الرفرف المعدني وقال :



منديل ليلى

– إنه رفرف العجلة الأمامية .. إنني أعرفه ولا أخطئه .. ها هي الثغرة التي حدثت به من حادث الاصطدام المؤسف في العام الماضي .

تلفّتَ حوله وضوءُ مصباحه يهتك حُجب الظلام ، وفجأة سمع نباحَ « فينو » الذي اختفى دون أن يشعرا به ، قال خالد:

– إنه « فينو » تُرى أين ذهب ؟

وجاء الجواب من « فينو » نفسه الذي عاد مسرعاً حاملاً بين فكيه قطعة من القماش ما كاد خالد يتبيّنها حتى هتف بلوعة :

– إنه منديل ليلى .. لا شك أنهما هنا ..

وانحنى على « فينو » وقال :

– « فينو » .. أين عثرت عليه ؟ خذنا إلى هناك وحذار أن يصدر عنك أي صوت .

ثم همس لوليد :

– لا تُشعِلِ المصباح لأي سبب كان .. نريد أن نعرف أين هما أولاً ..

سار « فينو » وسارا من خلفه بخطوات متلصصة لا صوت لها حتى وصل بهما إلى سور حديقة كبيرة .

همس خالد :

– تابع « فينو » تابع .. أين ليلى ؟

تشمّم « فينو » الأرض وسار قدُماً مجتازاً بوّابـــة إحدى الدارات حتى توقف أمام بوّابة جانبية صغيرة وشبّ على قائمتيه.

قال خالد :

– لقـد دخلت من هنا .. حاوِلْ أن تفتح الباب يا وليد ، ولكن كُنْ حذراً أن يصدر عنه صوت ينبّه مَن بالداخل إلى وجودنا .

عالج وليد الباب برفق فانفتح دون عناء ودون صوت ، مما يدلّ على أن بعضهم يستعمله باستمرار ، فانحنى خالد على الكلب المتوتر الأعصاب وقال :

-- « فينو » اتبع ليلى وعصاماً .

انطلق « فينو » خلال ممرات الحديقة ثم استدار إلى الجانب الخلفي من المبنى القاتم وتوقف عند درج يهبط إلى أسفل ..

همس خالد في أذن وليد :

-- إنهما في الداخل .. علينا أن نبحث عن مكان لندخل منه نحن أيضاً ..

وكان « سرور » الذي أدرك حقيقة الموقف أسرع منهما إذ انسلّ في الظلام وشاهدا شبحه وهو يقفز إلى شرفة قريبـة ثم يختفي، بينما دسّ «فينو» أنفه تحت عقب الباب يتشمّمه بغضب.

قال وليد بصوت منخفض :

– لماذا لا نحاول فتح الباب ؟

أجابه خالد :

– أخشى أن يصدر عنـا صوت يجذبهم إلينا .. ومع ذلك حاوِلْ بهدوء فربما لا يكونان خلف الباب مباشرة فإني لا أرى أي شعاعٍ لضوء .

هبط وليد الدرج ببطء وحذر ، وتحسّسَ مكانَ الرتاج ، وأخذ يضغطه بهدوء ، ثم دفع البـــاب ، ولكنه كان مغلقاً من الداخل ، وحاول مرة بعـد مرة ولكن الباب لم يستجب له ، وكان باباً متيناً مصنوعاً من خشب البلوط القوي الصلد ..

عادا وصعدا الدرجات القليـــلة ، وجذب خالدٌ وليداً من ذراعه وسارا عدة خطوات ثم همس في أذنه :

– أرى أن نصعد إلى هذه الشرفة فقد تكون أقل مقاومة.

أجابه وليد :

– هلمّ بنا .. سأرفعك ثم تجذبني إليك .

وقبل أن ينهض خـــالد سقط « سرور » بينهما وهو يهمهم باهتمام ، فهمس خالد يسأله :

– « سرور » هل عثرت عليهما ؟

أجابه « سرور » بهمهمة يفهمها خالد وتفيـد أنه لم يجدهما ، فعاد خالد يسأله :

– هل وجدت مكاناً ندخل منه ؟

همهم « سرور » وأمسك بكف خالد وجذبه ، فقال لوليد:

– هيا نتبع « سروراً » .. لقد عثر على منفذ إلى الداخل .

قفز « سرور » مرتقياً شرفة من الشرفات الكثيرة ، وجاء وليد فحمل خالداً حتى أمسكت أصابعه بحافة الشرفة ، ثم إنه تمكن بكلتا يديه من الحافة ، وراح يجـــذب نفسه حتى صار في الشرفة ، ثم التفت ومدّ يده إلى وليد فجذبه ، وبعد لحظة كان الاثنان واقفين في شرفة عريضة تفضي إليها أربعة أبواب كبيرة كلها مغلقـة ، ولكن « سروراً » مضى إلى واحد منها وجذبه فانفتح .

دخلا يتقدمها « فينو » ، وشعرا أن سجادة تكسو الأرض تحت أقدامها ، فهمس خالد :

– يظهر أن الدارة لا تزال تحتفظ بمفروشاتها ، وهـــذا سيساعدنا على إخفـاء تحركاتنا ، فإن صوت أقدامنا لن يُسمَع فوق السجاد ..

ووضع راحته على جزء من زجاج مصباحه الكهربائي تاركاً جزءاً صغيراً منه لينبعث منه شعاع رفيع ، ثم أشعل المصباح لحظة قصيرة كانت كافية ليدرك أنهم في حجرة صالون .. وأعاد الكرّة مرةً أخرى ليحدد مكان الباب ،ولكنه فوجىء بوجود

بابين في اتجاهين مخالفين ، فسار نحو أحدهما وتحسَّسَ قبضته، ثم أدارها ببطء فانفتح الباب . وبهدوء نظروا خارج الباب ، فإذا هم في بهو واسع غارق في الظلام .

همس خالد في أذن وليد :

– ما رأيك ؟ هل نمضي في هذا الاتجاه أم نختار الباب الآخر؟

وقبل أن يجيب وليد حسم « فينو » الموقف حين انحنى بأنفه الحساس نحو الأرض يتشمّمها، وكأنه التقط رائحة ليلى وعصام، إذ مضى في طريقه في خط متعرج وأنفه لا يفـــارق الأرض ، وسار خـــالد ووليد وراءه يكشف لهما الطريق ذلك الشعاع الرفيـع المنبعث من مصباح خالد .

واتجه «فينو» يميناً ليقف بهم عند رأس درج ، فأمسك خالد بعنقه وقال هامساً :

– قف يا « فينو » .. لا تتحرك .

واستدار نحو وليد وقال :

– هذا ما توقعت .. إنهما في قبو الدارة ، وهذا هو المكان المأمون لإخفاء مخطوفين عن الأنظار .

سأله وليد :

– وماذا تنتظر إذن ؟ هيّا نهبط إليهم .

أجابه بحذر وصوت هامس :

– لا يجوز أن نتسرّع .. سأتبع « فينو »، فإذا كان الطريق آمناً أشعلت لك المصباح لتلحق بي ، أما إذا لم أظهر خـــلال خمس دقائق فعُدْ أدراجك مسرعاً وأبلغ الشرطة عن مكاننا .

حاول وليد أن يقوم هو بهذا الدور بدلاً من خالد ، ولكن خالداً لم يمهـله ، فقد هبط بالفعل خلف « فينو » و « سرور » يرافقه متعلقاً على حاجز الدرج . كان الدرج حلزونياً دائراً هبط بهم إلى عمق لا يقلُّ عن سبعة أو ثمانية أمتار . وقد عَدّ خالد الدرجات التي هبطها فكانت تسعاً وثلاثين درجة ..

وما كادت رِجْل خالد تهبط الدرجة الأخيرة حتى تسمّرَ في مكانه ، فقـد رأى أمامه باباً يشعُّ الضوء من تحته ، وسمع أصواتاً مكتومة تتحدث خلفه . وظلّ خـــالد في مكانه لا يتحرك، ثم صعد عدة درجات وأشعل مصباحه وانتظر في مكانه حتى لحق به وليد ، فقال له هامساً :

– وراء هذا الباب أكثر من واحد .. إنها أصوات نسائية مختلطة بأصوات رجال ..

تقدم وليد وأنصت هو أيضاً ، ثم ألصق شفتيه بأذن خالد وقال : إنهم بعيدون وليسوا وراء الباب .

سحبه خالد بعيداً عن الباب وعاد يهمس إليه :

– لا شك أن القبو له أكثر من باب وأكثر من درج ،

فلْنَبحثْ لعلنا نعثر على مدخل أكثر أمناً من هذا .

اعترض وليد قائلاً :

– ولماذا اللف والبحث ؟ ها هو المدخل أمامنا ، ونحن قوة لا يُستهان بها .. هل نسيت أن معنا « سرور » و « فينو » ؟ ثم إن عنصر المفاجأة في جانبنا ، وهـــذا وحده يكفي لربح نصف المعركة .

فكـّر خالد بمشروع وليد فرآه معقولاً، وإنْ كان فيه بعض الشيء من المخاطرة ، فقال له :

– إذن فلتكن المفاجأة كاملة .. نفتح الباب بدفعة واحدة ، ثم ننقضُّ كلنا انقضاض رجل واحد .



بيت الأسرار

عاد وليد إلى الباب ، وأدار قبضته ، ثم حاول دفعه فوجده مغلقاً برتاج ضعيف ، فتراجع إلى الخلف خطوتين ، وتحفّز ، ثم اندفع نحوه كالقذيفة ، وصدمه بكتفه صدمة عنيفة كادت تخلعه من مكانه ، في الوقت الذي اندفع فيه « سرور » و«فينو» يتبعهما خالد ووليد .

وتسمّروا في مكانهم مذهولين.. كان المكان مُضاءً ، ولكنه كان خالياً، أما الأصوات فكانت تنبعث منجهاز راديو صغير.

نظر وليد إلى خـــالد في حيرة ، وكأن جمود تفكيره عاوده فجأة ، فقال :

– ما معنى هذا ؟

أجابه خالد باهتمام :

– معناه واضح تماماً .. إن المكان مأهول ، ولكن ساكنيه

ليسوا هنا ، وإن كان الراديو يدلُّ على أنهم فارقوه منـذ وقت قريب ، وإنهم سيعودون إليه وشيكاً .

كان «فينو» يتشمّم الأرض ، وسار نحو أحد الأبواب وشبَّ على قائمتيه الخلفيتين ، فقال خالد :

– وليد .. احرسْ هذا الباب وراءنا ، وسأرى ماذا خلف الباب الثاني الذي وقف عليه « فينو » .

ومضى نحو « فينو » الذي كان يحكُّ الباب بأظافر قائمتيه الأماميتين ، ففتح الباب فإذا هو يُفضي إلى ممر طويل ، في نهايته باب يشعُّ النور من تحته . انطلق « فينو » مسرعاً نحو البـــاب المذكور ، فهمس خالد يدعو وليداً ليبتعد مع « سرور» . فأغلق وليد الباب الأول بالمفتـــاح والرتاج ، وتبع خالداً وهو يقول شارحاً الغاية من عمله :

– حتى لا نُحْصَرَ بين نارين .. انظر إلى هذا الباب .. لقد انطلق نحوه « فينو » .

أمّن خالد قائلاً :

– نعم ! ولا شك أنّ وراءه عصاماً وليلى .

تقدّم وليد قائلاً :

– إذن فهيّا نقتحمه .. ماذا ننتظر ؟

وجد خالد أنهم فيموقف لا تراجع فيه بعد أن أصبحوا بين


وليد يحل وثاق ليلى

سكان المكان الذين اختطفوا عصاماً وليلى أو – على الأقل – احتجزوهما .

كان « فينو » واقفاً عنـــد الباب وقد ظهر عليه التحفّـز وكشّر عن أنيـابه ، فضغط خالد على فمه براحته ، وأنصت ، فسمع صوتاً ميّزه بفرح .. إنه صوت ليلى .

أنصت ، فسمعها تقول :

– حاوِلْ أن تقترب مني لأحلّ وَثاقك .

فأجابها عصام :

– سيعودون قبل أن أزحف نصف المسافة .

لم ينتظر خالد سماع المزيد ، ففتح الباب ودخل إلى الحجرة مسرعاً وتجاوزهما إلى الباب المواجه فأغلقه جيداً بالمفتاح ، بينما كان وليـــد يحلّ وَثاق ليلى ، فأسرع هو إلى عصام ليحرّره أيضاً وقال :

– هلمّوا .. أسرعوا بنا لنخرج من هنا .

قالت ليلى بفرح :

– كيف اهتديتم إلى مكاننا ؟

أجابها خالد :

– لا وقت للحديث الآن .. يجب أن نخرج سريعاً .

قالت ليلى :

ـ لا تخشَ شيئاً .. إننا أكثر منهم قوة الآن .. إنهم رجلان وامرأتان وعجوز .

سألها خالد :

ـ هل هم أصحاب هذا المكان ؟

أجابه عصام :

ـ لا .. إنهم عصابة غريبة ستعرف عنها كل شيء بعد أن نقبض عليهم أولاً .

فكّر خالد في الأمر ثم قال :

ـ « فينو » .. اختبىء تحت هذا السرير .. « سرور » خلف هذا المقعد الكبير .. وأنا ووليد سنقف وراء الباب .. أما ليلى وعصام فاجلسا حيث أنتما ، وسنلفّ الحبال حولكما كأنكما لا تزالان مقيّدَيْن .. الآن هيّا ..

وفي سرعة البرق أُعِدّ المسرح ، وساد الصمت المكان . ومرّت دقائق سُمِعَ بعدها وَقْعُ أقدام مُقبلة نحو الحجرة وصوت أجَشّ يقول :

ـ لقد تأخرت زينب .. إن النار ساخنة والفحم متوهّج .

وفُتح الباب ودخل منه رجل ضخم الجثة ملوّث الثياب واليدين بآثار الفحم السوداء ، ومن خلفه شاب نحيف يسعل باستمرار . وأعطى خالد الإشارة فانقضّ « فينو » و « سرور »

ووليد في آن واحد على الرجل الضخم ، بينما تكفّل عصام وخالد بزميله . وكانت معركة خاطفة ، فقد سقط الرجل الضخم كالثور قبل أن يستفيق من هول المفاجأة ، بينما كان الرجل النحيف ممدّداً على الأرض ، وهو ينظر إلى مهاجميه بذعر وهلع .

ولم يضيّع الرفاقُ الوقتَ ، بل أسرعوا فقيّدوا الرجلين بالحبال التي كانت على عصام وليلى .. كما أسرعت ليلى إلى الفراش فمزّقت ملاءته ، وأخذت منه قطعتين كمّمَتْ بهما الرجلين بإحكام ، ثم قالت :

ـ بقيت المرأتان .. اتبعوني .

وخرجت الفرقة كلها .. وساروا خلال دهاليز وأروقة ، حتى تناهى إلى أسماعهم صوت امرأتان تتحدثان :

ـ يجب أن نضع قليلاً من الماء في قاع كل مزهرية ، وإلا انكسرت عندما نصبّ فيها الذهب المصهور .

قالت الأخرى ، وكان صوتها ناعماً قليلاً :

ـ لقد تأخرت زينب .. والذهب الموجود الآن لا يكفي القطع المائة المعَدّة للشحن .

همس خالد :

ـ يجب أن نستقبل زينب هذه في الخارج ، وقبل أن تكتشف ما فعلنا .

هزّت ليلى رأسها غير موافقة وقالت :

– يجب أولاً أن نتخلص من المرأتين ، لأن زينب قد لا تأتي وحدها .. ربما كان لهم شركاء لا نعرفهم بعد .

وافق خالد ليلى في الرأي وأمر بالاستعداد ، ثم فتح الباب ، وتدفقوا داخلين. ولم تُبْدِ المرأتان أية مقاومة سوى أن إحداهما صرخت فَزِعَة عندما تسلّق « سرور » على كتفيها ، وراح يفتش عن أذنيها . أما الأخرى فسقطت مغشياً عليها من شدة الرعب والفزع .

صاحت الأولى وقد غاض الدم من وجهها والرعب لا يزال مسيطراً عليها :

– مَن أنتم ؟ ماذا تريدون ؟

انحنت ليلى عليها وقالت :

– أبهذه السرعة تنسين ؟ ألستِ أنتِ التي قيّدتِني منذ ساعات ؟ ألا تعرفينني ؟

سألت المرأة المذعورة :

– وماذا تريدون ؟

أجابها خالد بهدوء :

– نحن لا نريد شيئاً .. لكن الشرطة قد تريد هذا .

وأشار إلى الذهب المصهور واستأنف يقول :

– والآن هذا دورنا في السؤال .. من أنت ؟

وبدا عليها كأنها ترفض الإجابة ، لولا أنها نظرت إلى « سرور » فرأته يكشر عن أنيابه ، فقالت وهي ترتجف فزعاً :

– إسمي خديجة وزوجي عبد الباسط .. إنه مريض .

سألها بصوت فيه قسوة وتهديد :

– أيهما عبد الباسط ؟ أهو النحيف أم الضخم ؟

أجابته متباكية :

– إنه النحيف .. إنه مريض .. ولولا مرضه ما قبلت العمل مع الخواجة أبداً .

وتبادلت ليلى وخالد نظرات سريعة ، وعاد خالد يسأل المرأة :

– ومن هو هذا الخواجة يا خديجة ؟

وصمتت المرأة ، فقال خالد يشجعها !

– أود أن أوضح لك أمراً هاماً .. إذا اعترفتِ للشرطة بكل شيء أنقذتِ نفسك وزوجك من السجن المحتم .

بكت خديجة وقالت وهي تتلفت حولها بذعر :

– أنا لا أعرف الخواجة .. لكن الأسطى أحمد يعرفه .. وهذه زوجته .

وأشارت إلى رفيقتها فقال خالد :

– والأسطى أحمد هو هذا الرجل الضخم الذي مع زوجك؟

وأشار إلى الغرفة المجاورة التي كان بهـا الرجلان المقيدان ، فقالت :

– نعم إنه هو ..

قالت ليلى في لهفة :

– لا فائدة من استجوابها ، فهي لا تريد الكلام .. فلنسرع نحن لإبلاغ الشرطة ، وطمأنة ماما سعاد .

سألها خالد :

– ولكني لم أشاهد دراجتكم .. فأين ذهبوا بها ؟

أجابته محتارة :

– لا أدري .. إن قصة وقوعنا بين أيديهم قصة غريبة جداً .

أجابها خالد مقاطعاً :

– سنسمعها فيما بعد .. أما الآن فعلينا الاستعداد لاستقبال زينب .

كانت ليلى قـــد أتمت تقييد خديجة ، وقبل أن تكمم فمها قالت لها :

– أمامك فرصة أخيرة يا خديجة .. من هو الخواجة .. ومن هي زينب ؟

ارتسم الذعر في عيني المرأة وقالت بصوت متهالك :

– أخشى إذا أخبرتكم أن يقتلوني وزوجي .

تدخل خالد محاولاً استدراج المرأة إلى الاعتراف :

– أنصتي إليّ يا خديجة .. الوقت ضيق لا يتسع للمحاورات .. واعلمي أن تصريحك بمـا تعرفين من أمر هؤلاء القوم سيكون ذا فائدة كبيرة لك ولزوجك .. أما إذا لزمت الصمت ، فإن ذلك لن يخلصك من الشرطة التي ستحضر بين وقت وآخر ، وستعرف بطرقها المختلفة كل شيء عن هذا الخواجة وهذه المدعوة بزينب ، فاعترفي قبل فوات الأوان .

فقالت المرأة بصوت خافت :

– أطلقوني وزوجي ، وسأعترف لكم بكل شيء ، كما سأدلكم على مكان الذهب كله ، ولكن بشرط أن تصحبوني معكم .

فكر خالد بسرعة وقال لليلى :

– حلي وثاقها يا ليلى .

ثمّ نادى « سروراً » و « فينو » وقال للمرأة مهدداً :

– إذا حاولت خداعنا فسأتركهما يمزقانك .

وبدا الهلع في نظراتها وهي تقول :

– أقسم أنني سأقول الصدق .. وسيظهر لكم ذلك الآن .. اتبعوني ..

وسارت المرأة وهم خلفها وقد نسوا أمر المرأة الأخرى التي لم تفق من غشيتها حتى الآن . وكادوا يتركونها طليقة لولا صياح

« سرور » وهمهمته التي لفتت أنظارهم إليها .

وبعد تقييد المرأة الأخرى مضوا خلف خديجة التي قادتهم إلى حجرة أُخرى في الدارة . كانت الحجرة واسعة ، وفي وسطها مائدة كبيرة فخمة ، وفوق المائدة مائتان من أواني الزهر المختلفة الألوان والأحجام . وكان على أرض الحجرة صناديق خشبية عديدة وكمية كبيرة من الورق المقصوص الذي تغلف بـه الأواني الزجاجية والخزفية السريعة العطب قبل شحنها .

قالت المرأة :

— في كل هذه الأواني ذهب .

أمسك خالد بواحد منها وفحصه فلم يرَ فيه شيئاً ، كذلك لم يلحظ عليه أي أمر غريب ، حتى الثقل بدا طبيعياً بالنسبة إلى إناء خزفي ، ولا يُشْعِرُ بوجود شيء ثقيل فيه كالذهب .

التفت إلى المرأة وسألها متشككاً :

— أين هذا الذهب ؟ إنها فارغة .

هزت المرأة رأسها وقالت :

في قاع كل إناء طبقة من الذهب كسيت بمادة خزفية لإخفائها .

ولم يتردد خالد في التثبت من أقوال المرأة فضرب الإناء بحافة المائـدة فانكسر ، وظهر بين حطامه قرص مستدير من الذهب الخالص ، فاطمأن إلى صدق المرأة .

قال لها بلهفة :

— أحسنت يا خديجة .. سيكون صدقك وصراحتك مفيدَيْن لك ولزوجك .. والآن أخبرينا بسرعة من هو هذا الخواجة ؟

عاد الخوف ينبثق من عينيها وقالت :

— إنه صاحب هـــذه الدارة .. هرب إلى خارج البلاد مع بعض أمواله الكثيرة .. وترك زوجي لرعاية الدارة وحديقتها .. وكان يرسل إلى زوجي أجرته على شكل حوالات من الخارج ، وخلال عشرين سنة لم يعد إلى البلاد إلا في هذه المرة .

سألها خالد بقلق :

— وهل تنتظرون حضوره الآن ؟

هزت خديجة رأسها نفياً وقالت :

— لا .. لا يزال أمامنا عدد من أواني الزهر يجب إعدادها ، ولا أتوقع حضوره قبل الانتهاء من العمل .

سألها خالد :

— وكم بقي من العمل ؟

أجابته قائلة :

— إننا لم ننه حتى الآن إلا القليل ، إذ يجب إعداد ألفين من الآنية ، تستوعب خمسين كيلو غراماً من الذهب ، كما يجب إعداد عشرة منها لإخفاء الماس في قواعدها بدلاً من الذهب .

قالت ليلى :

– خالد .. يجب الإسراع بالذهاب قبل مجيء زينب ومن قد يكون معها .

قال خالد لخديجة :

– مع من ستأتي زينب هذه يا خديجة ؟

أجابته في ذعر :

– مع السائق شعبان وسكرتير « الخواجة إلياهو » .. إنه من الساحل لكنه ظالم لا يخاف الله أبداً .

سألها عصام :

– أخبريني أين ذهبوا بالدراجة التي كنتُ عليها أنا واختي ؟

أجابته في صدق ظاهر :

– أقسم لك لا أعرف ، لا بدّ أن يكونوا قد وضعوها في المرآب .

كان وليد يقف حتى الآن صامتاً يصغي إلى الحديث الدائر دون أن يتفوه بكلمة ، لكنه قال في النهاية :

– علينا انتظار هؤلاء الضيوف في الحديقة ، فمجال المناورة هناك أوسع . ويمكننا أن نوزع أنفسنا بحيث نتصيدهم بصورة مضمونة .

قال خالد :

– فلنبدأ بحل وثاق زوجها ، ثم تأخذها ليلى على الدراجة إلى المنزل ريثما نتم نحن مهمتنا .

قالت خديجة بوفاء عجيب :

– يا لكم من شباب أوفياء مخلصين للبلاد .. لا . لن نترككم تواجهون هؤلاء الوحوش وحدكم .. يمكننا الاختفاء في أي حجرة من حجرات الدارة الكبيرة لنساعدكم وقت الحاجة .

قال خالد شاكراً لها هذه البادرة الطيبة :

– شكراً لك .. إذن أسرعي ، وحلي وثاق زوجك ، واختفي معه في الطابق الأعلى إلى حين أستدعيكما .

أسرعت خديجة فحلت وثاق زوجها المتهالك ، وظن الأسطى أنهما سيحلان وثاقه هو الآخر ، ولشد ما كانت دهشته وغضبه عندما رآهما يغادران المكان بسرعة ، ويتركانه مقيداً محكماً كما هو .

أما خالد فهبط إلى الحديقة والجميع في صحبته ، وأسرعوا إلى الباب الجانبي فوجدوا المكان مناسباً جداً للإيقاع بكل داخل مهما بلغ من القوة .

وزع خالد زملاءه بدقة بعد أن أفهم كل فرد ما يجب عليه أن يعمله عندما تحين ساعة العمل . وكان « سرور » أسعد الجميع بدوره الذي عليه أن يقوم به ، وبموضعه المخصص له .. كان هذا



ماذا في الحقيبة ؟

الموضع غصن شجرة تشرف على البـاب ويستطيع الكامن فوق غصنها أن يسيطر سيطرة كاملة على كل داخل أو خارج .

وساد صمت كأنه صمت القبور ، وهـدأ المكان الهدوء الذي يسبق العاصفة ، حتى نبههم «فينو» الذي ربض إلى جانب خالد ينتظر اقتراب العدو .. وعندما زمجر بصوت خافت قال خالد:

– استعداد .. إنهم في الطريق إلينا .

وبعد لحظات تناهى إلى أسماعهم صوت سيارة تتوقف أمام الباب وتطفىء محركها . وسمعوا صوتاً يقول :

– زينب !! خذي الحقيبة وأسرعي إلى الأسطى فـلا شك أنه غاضب من تأخرنا .

كان مرور زينب وحدها من الباب مفسداً للخطة الموضوعة التي كان التقدير فيها أن يدخل الجميع معاً . إذن كان لا بدّ من ترك زينب تمر بسلام لأن الهجوم عليها سينبه الآخرين ، فيستعدون للمقاومة أو الهرب ، مما يؤدي إلى إفشال الخطة نهائياً . وبإشارة صامتة من خالد فهم الجميع التعديـل الذي طرأ على خطتهم ، فمرت زينب تحمل حقيبتها دون أن يهاجمها أحد .

وبعد مرورها هبط من السيارة شخصان يلفهما الظلام ، فقال أحدهما : وهو الذي كان قد أصدر الأمر لزينب :

– عليكم أن تسرعوا .. ففي الغد يجب أن يـتم شحن

الصناديق كلها .

أجابه زميله :

— وماذا نفعل بالفتى والفتاة ؟

أجابه بغير اكتراث :

— تخلصوا منهما قبل الرحيل .. فلا يجوز أن يعرف مكاننا أحد ولو كان ذلك بطريق الصدفة .

وأحس عصام ، كما أحست أخته ليلى بقشعريرة باردة تسري في أوصالهما ، إذن فقد كان المجرمون مزمعين على قتلهما لا لذنب سوى أنهما عرفا وكر هؤلاء المجرمين .

وعاد الرجل يقول :

— سيصل «حاييم» بالماس بعد قليل .. وهذه الآنية المخصصة لحمل الماس يجب أن تكون مميزة عن الآنية المخصصة للذهب .

فأجابه رفيقه :

— لقد ميزناها بلون خاص حتى لا تختلط بغيرها .

أشعل الرجل الأول سيجارته وقال :

— إذن دعنا نلقي نظرة على سير العمل ، ثم نعود لاستقبال حاييم .

وتحرك الرجلان صوب الباب ، فتحفزت الفرقة كلها ، وانتظرت اللحظة المناسبة بأعصاب مشدودة . وما كادا يلجان

حتى انقض «سرور» من فوق الشجرة على أحد الرجلين، فركب كتفيه ، في الوقت الذي تقدم منه وليد وأهدى إلى فكه لكمة فولاذية ألقته أرضاً ، أما الرجل الثاني فتولى أمره بقية أعضاء الفرقة ، إذ هاجمه « فينو » أولاً لكي يشغله ، بينما أسرع عصام وخالد إليه بلكماتهما المتلاحقة التي أذهلته ولم تسمح له بإبداء أية مقاومة .

جرى كل ذلك بسرعة خاطفة ، ولم يشعر الرجلان إلا وهما على الأرض لا يستطيعان حراكاً، وفوق أحدهما جثم فينو مهدداً مكشراً ، وفوق الثاني جثم سرور يداعب أذنيه بنهشاته المؤلمة، والرجلان لا ينفكان يصيحان في دهشة :

— من أنتم ؟ ماذا تريدون ؟

لكن أنياب « سرور » الحادة التي كانت تعمل بنشاط في أذني أحد الرجلين حوّلت تساؤلاته إلى صرخات ألم حادة، فخشيَ خالد أن تسمع زينب هذه الصرخات ، فتتنبه إلى الخطر المحدق بها فتهرب ، لذا سارع إلى زجر « سرور » فقال له :

— « سرور » كفاك عبثاً .

كف «سرور» عن عبثه ، ولكنه لم ينس وهو ينهي معركته أن يهدي إلى خصمه صفعة قوية على وجهه .

ولم تمض سوى لحظات كان الأسيران بعدها مقيدين مسوقين

إلى داخل الدارة .

وصفّت الفرقة الأسيرين الجديدين إلى جوار الأسطى بعد أن قيدوا الآن أرجلها أيضاً . ونظر الأسطى إلى القادمين الجديدين في دهشة وعجب ، وراح يتساءل بينه وبين نفسه : من هؤلاء الشياطين ؟ وكيف تهيأ لهم أن يتغلبوا على هذا العدد من أفراد العصابة ؟ وكيف استطاعت خديجة أن تتخلص منهم ؟ ولماذا حررت زوجها فقط وتركته هو وزوجته مقيدين مكممين ؟ ولكنه لم يصل إلى أي جواب عن هذه الأسئلة الكثيرة .

وبعد أن انتهوا من تقييد الأسيرين قال خالد :

– الآن علينا انتظار زينب ، فلا شك أنها ستصل إلى هنا خلال ثوان قليلة .

قالت ليلى محذرة :

– ولكنها دخلت منذ دقائق يا خالد ، وأخشى أن تكون أحست بما جرى فلاذت بالهرب .

ابتسم خالد وأشار إلى الأعلى وقال :

– لا تخشَيْ شيئاً .. إنها في الطابق الأعلى .. لقد رصدت خط سيرها عندما دخلت من باب الدارة الرئيسي .. وها هي أصوات قدميها فوقنا وهي تتنقل في الحجرة .

ثم التفت إلى وليد وعصام وقال :

– هلموا بنا .. سنصعد نحن إليها .. ولن ننتظر حتى تهبط هي إلينا .

قالت ليلى :

– أفضل أن ننقل زوجة الأسطى إلى هنا حتى نحصرهم في مكان واحد ، ثم نصعد إلى زينب لنقبض عليها .

قال الرجل الصارم الذي بدا أنه أحد زعماء العصابة :

– من أين جئتم أيها الشياطين ؟ ومن أنتم ؟

وانتهزها « سرور » فرصة ليروي غليله منه ، فقفز على كتفيه وانهال صفعاً على رأسه وأذنيه بحركة مضحكة ، والرجل يكاد ينفجر من الغضب والغيظ وهو يقول :

– ما هذا ؟ هل انقلب المكان إلى سيرك ؟ أوقفوا هذا الحيوان اللعين وأبعدوه عني .

ولم يكن الرجل يعلم أن « سروراً » يفهم كل كلمة يسمعها ، لذلك دهش عندما رآه يهجم عليه وهو يلفظ كلمة « اللعين » ويقضم أذنه قضمة قوية صرخ لها صرخة ألم مفزعة .

وتدخل خالد فأبعده عنه وقال :

– ستعلم بعد قليل من نحن .. انتظر قليلاً .

ثم التفت إلى الفرقة وأصدر أمره بنقل زوجة الأسطى إلى الغرفة فمضى وليد وأتى بها يجرها من كتفيها ، فوضعها إلى جوار

زوجها ، ثم أغلقوا الغرفـة ، فأصبح الأسرى محصورين ببابين مغلقين إغلاقاً محكماً .

ارتقت الفرقة الدرج و « فينو » في المقدمة يتشمم الأرض ، ويتبع رائحة زينب حتى توقف بهم في نهاية ردهة طويلة أمام باب مغلق ينبعث الضوء من تحته مما يدل على أن زينب في هذه الغرفة .

طرق خالد الباب برفق فسمع صوتاً من الداخل يقول :

– ادخلي ..

فتح خالد الباب ودخل والفرقة كلهـــا من خلفه ، ووقف صامتاً لا يتكلم . كانت زينب واقفة مولية ظهرها إليهم ، وكان أمامها مائدة فوقها أحجار من الماس الذي يخطف ببريقه الأبصار .

ودون أن تلتفت المرأة استأنفت تقول وهي تعبث بالأحجار الماسية :

– لماذا جئت يا خديجة ؟

أجابها خالد :

– اتبعينا بهدوء .. واتركي كل شيء في مكانه .

التفتت مذعورة وقـد سمعت صوتاً غير الذي كانت تتوقعه وقالت :

– من أنتم ؟ كيف وصلتم إلى هنا ؟ ماذا تريدون ؟

كانت فتاة جميلة شقراء ، وكانت الملابس الأنيقة الثمينة التي

تلبسها تدل على أنها تتمتع بمركز خاص في العصابة .

أجابها خالد :

– أما جواب من نحن فأمر يطول شرحه ، وأمـــا كيف وصلنا فمن هنا وصلنا .

وأشار إلى الباب وهو يتابع سخريته :

– وأما ماذا نريد فهذا لبّ الموضوع .. نريد كل هذا الماس بعد أن استولينا على كل الذهب الذي في الأواني الخزفية .

اتسعت عيناها رعباً وتمتمت بذهول :

– ولكن لماذا ؟ ألسنا أحراراً في أموالنا ؟ إن دخولكم إلى هذا المكان جريمة يعاقب عليها القانون ، وسوف أستدعي الرجال ليسوقوكم إلى الشرطة .

ضحكوا ساخرين وقال وليد :

– يبدو أنك سليطة اللسان قليلاً مما سيرغمنا على تغيير طريقة الحديث معك .

قال هذا وتقدم منها يريد ضربها ، فتراجعت إلى الوراء حتى وصلت إلى حقيبتها الملقاة على طرف المائدة فاختطفتها بحركة سريعة وأخرجت منها مسدساً صغيراً صوبته نحـــو وليد وهي تقول ساخرة :

– ارفعوا أيديكم جميعاً وإياكم أن تتحركوا ..

ولم تتم كلمتها الأخيرة حتى طار المسدس من يدهـا ورأت « فينو » وهو يتبعه ، ثم يضع يده فوقه ، وهو ينظر إليها كأنه يقول : إنها فتاة ضعيفة ويكفي أن تجرّد من سلاحها فقط .



لا مساومة

وقفت الفتاة مشدوهة عندما قال خالد بصوت آمر :

– والآن اجلسي على هذا المقعد لنتفاهم .

انصاعت الفتاة إلى أمر خالد الذي أشار إلى النافذة قائلاً :

– ليلى .. اقطعي حبل هذه الستارة وقيدي به هذه الفتاة الغادرة .

ثم انحـنى والتقط المسدس من فوق الأرض وراح يتفحصه بعناية ، ويظهر أنـه وجد فيه ما اقنعه بصحة فكرةٍ جالت في رأسه إذ همهم ببضع كلمات وهو يضعه في جيبه .

أسرعت ليـلى فنفذت أمر خالد ، يعاونها في ذلك كلٌّ من « سرور » و « فينو » ووليد الذي ضغط بكل ثقله الرهيب على كتفي الفتاة حتى تمّ تقييدها فقال لها ساخراً :

– ارفعوا أيديكم ؟ أليس كذلك ؟ ولكن قولي لي من الذي رفع يديه ؟

قالت بصوت لم تعد فيه نبرة التعالي والترفع السابقة :

– ولماذا لا نتفاهم بدلاً من العراك والخصام ؟

قال لها خالد :

– وهل كنا ننشد غير التفاهم ؟ ولكنك واجهتنا بهـذا المسدس كأنك تحسبين نفسك في مشهد من فيلم سينمائي من أفلام المغامرات .

وضحك الجميع إلا الفتاة التي قالت وقد راودها الأمل في عقد اتفاق :

– آسفة لما حدث.. والآن هاتوا مطالبكم وثقوا أنني سأنفذها فوراً .. إن الاتفاق بيننا ليس أمراً صعباً .

همست ليلى في أذن خالد بكلام قال على أثره :

– الحق معك يا ليلى .

ثم قال للفتاة :

– سنعود لنواصل الحديث بعد قليل .. هـل تسمحين لصديقتي أن تكمم فمك الجميل هذا حتى نرجع إليك ؟

وقبل أن تسمع ليلى جواب الفتاة أسرعت إليها ولفّت حول فمها منديلاً حريرياً ثميناً كانت تضعه حول عنقها .

قال خالد :

– والآن احملها يا وليد .. وأنت يا عصام اجمع الماس وضعه في هذا الكيس الصغير .

كانت ليلى تفحص محتويات حقيبة متوسطة ، فندّت عنها صرخة دهشة وقالت :

– يا إلهي !. انظر يا خالد ..

نظروا جميعاً إلى ما في داخل الحقيبة وقال خالد :

– إنها سبائك ذهبية .. لا بأس إن الغنيمة ثمينة ..

وأشار إلى وليد الذي كان يحمل زينب على كتفه أن يتقدم أمامهم بحمله ، ففعل والرفاق من خلفه حتى وصلوا إلى الغرفة التي تركوا فيها أسراهم ، فأضافوا الأسيرة الجديدة إليهم .

قال خالد :

– هلموا الآن لنصطاد رأس العصابة عند قدومه .

وأعادوا إغلاق الباب عليهم ، وخرجوا إلى الحديقة ، وعاد الصمت يلفّ المكان من جديد ، وكانت فرحتهم لا تقدر لما حققوه من نصر مبين .

همست ليلى :

– ما رأيكم في أن نرسل واحداً منا ليطمئن «ماما سعاد».. إن القلق قد استبد بها ولا شك .

أجابها خالد :

– لست من هذا الرأي .. إننا ننتظر هذا المسمى «حاييم»، وصاحب الاسم كما يبدو يهودي ، وهؤلاء اليهود يتسمّون بالجبن فلا يسير الواحد منهم إلا محاطاً بأعوان وحراس أشداء .. وكل ذلك يقتضينا الاحتفاظ بكامل قواتنا وعدم التفريط بواحدٍ منا.

كان « فينو » رابضاً إلى جوار خالد في انتظار مَقْدَم الصيد الجديد عندما هبّ من مكانه فجأة ، واستدار متحفزاً ينظر إلى مبنى الدارة .

سأله خالد :

– ماذا بك يا « فينو » ؟

ولكن « فينو » انطلق كالسهم وأخذ يعدو صاعداً الدرج إلى الدارة فقال خالد :

– إن شيئاً ما يحدث داخل الدارة أثار «فينو» .. سأذهب لأرى ما الأمر ولا تغادروا أماكنكم حتى أعود ..

وقبل أن يصل خالد إلى أول الدرج سمع صوت « فينو » في الطابق الأول يخوض معركة مع أحدهم ، فأسرع يرتقي الدرج، فشاهد ما جعله يتسمر في مكانه .. كان « فينو » ملقياً عبد الباسط على الأرض وعلى مقربة منها وقفت خديجة وإلى جوارها خنجر كبير ملقيء على الأرض .

أدرك خالد حقيقة ما حدث فقال :

– أهكذا إذن..؟ لقد وثقنا بكما ومنحناكما فرصة الخروج من هذا المأزق ، ولكن يبدو أن الخيانة في دمكم .

وهتف منادياً عصاماً الذي حضر مسرعاً وشاهد ما حصل فقال :

– لم أطمئن أبداً إلى وجهه الذي يذكرني بوجه الجرذ .

وبعد ثوان أعيد تقييدهما ، وخديجة تولول ، ولكن بكاءها هذه المرة لم يجد أذناً صاغية فقد دفعها خالد أمامه في عنف وهو يقول :

– لقد اخترتِ طريقك وطريق زوجك .. فلا جدوى من البكاء الآن .

وعندما عاد إلى الحديقة سألتها ليلى :

– ماذا جرى ؟

فأجابها خالد ببساطة :

– إنها خديجة الخائنة ..

وقصّ عليها في اقتضاب ما حصل فقالت :

– يا للغدر والخيانة !.

وفي هذه الأثناء سمعوا صوت هدير محرّك قادماً كما شاهدوا أنوار سيارة تشع وسط الظلام فهمس خالد :

– ها قد وصل .. استعدوا لاستقباله ..

وتوقفت السيارة أمـــام باب الحديقة الكبير ، ثم نزل منها رجل ، واتجه نحو الباب وفتحه على مصراعيه ، ثم عاد فركب ثانية ، وراحت السيارة تتهادى وهي تجتاز البوابـــة ، وتسير بهـدوء حتى وصلت إلى الدرج العريض لباب الدارة . وهناك توقفت تماماً .



يهود ..!

هبط من السيارة ثلاثة رجال فقال خالد :

– يجب مفاجأتهم قبل أن يكتشفوا ما حلّ برفاقهم .

ثم قال وهو ينظر إليهم صاعدين الدرج في بطء :

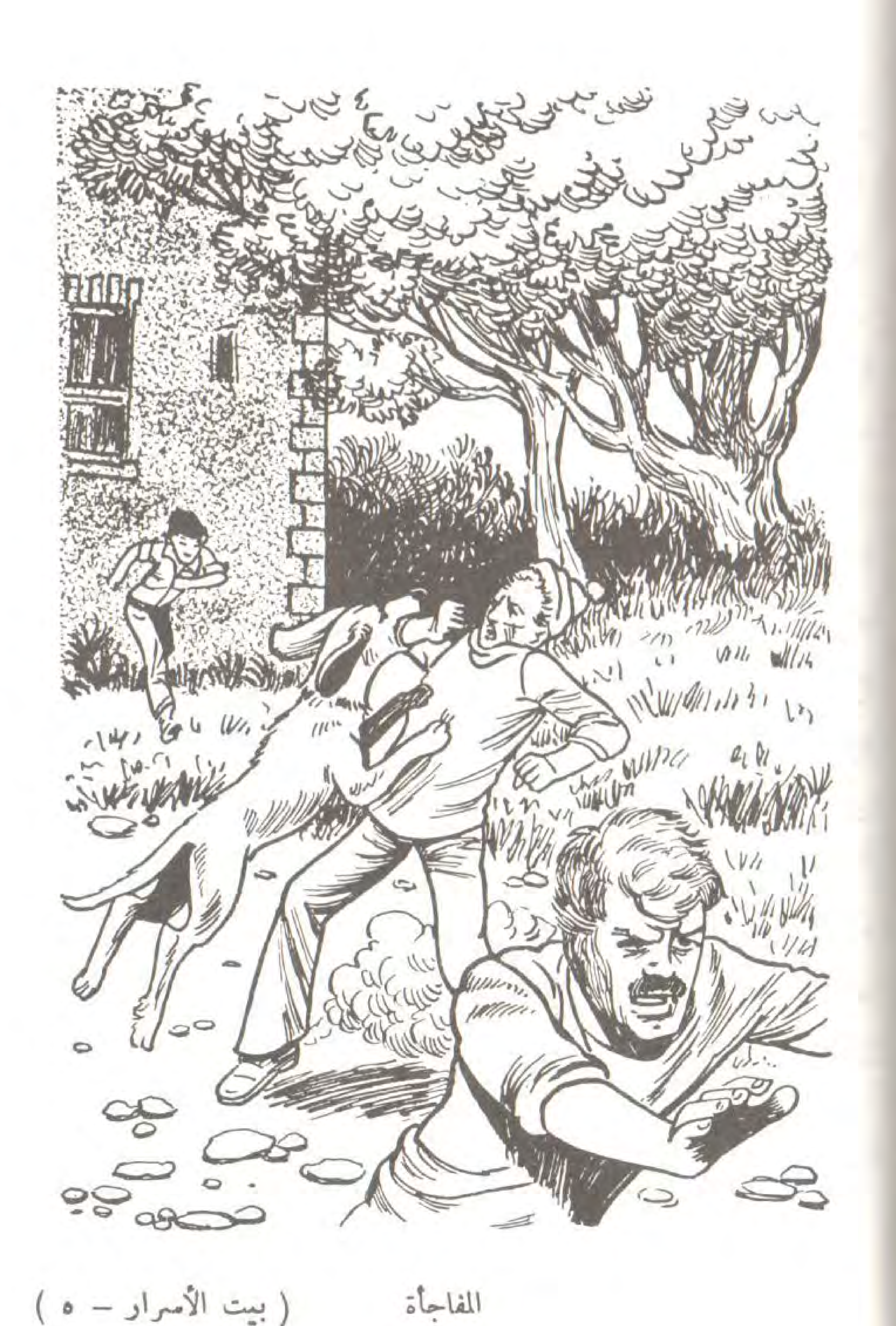
– يجب أن يبـدأ الهجوم « فينو » و « سرور » ، وسوف نكون في الداخل لملاقاتهم .

وترك « فينو » و « سروراً » مع ليلى وقال لها :

– عندما تسمعين صوت باب يصفق أطلقيها ..

قال هذا ومضى مسرعاً مع عصام ووليد فدخلوا الدارة من النافذة التي دخلوا منها أول مرة ، ثم انسلوا بحذر وهدوء حتى اقتربوا من البهو الكبير ، ونظر خالد فرأى الرجال الثلاثة .

كانوا أشداء ليسوا طوالاً ولا قصاراً ، وجلس أحـــدهم ، ويبدو أنـــه رئيسهم بينما ظل الاثنان الآخران واقفين . وسمع



المفاجأة

خالد صوت أحدهما وهو يقول متسائلاً :

– أين ذهبت المدام ؟.. إنني لا أسمع لها صوتاً ..

ضحك الرجل الجالس وقال :

– من تعني ؟.. راشيل أم مدام زينب ؟

ضحك الجميع للنكتة عندما قال الرجل :

– يجب أن تكون الصناديق معدّة للرحيل في طائرة الظهر اصعد يا « موييز » وارجع مع « راشيل » .

ومضى الرجـــل المسمى « موييز » لتنفيذ الأمر ، وبقي الرجلان الآخران وحدهما .

كان هذا فرصة رائعة لم يتوقعها المتربصون ، وسرعان ما أمسك خالد بأحـد الأبواب وفتحه ، ثم صفقه بعنف فأحدث بذلك ضجة عالية .

التفت الرجلان نحو مصدر الصوت في حركة سريعة مدهوشة ، وعندما استردا وعيهما كان تغيرٌ خطير قد حدث .. كان « فينو » جاثماً فوق صدر الرجل الذي انكفأ على وجهه من القفزة المروعة بينما أعمل « سرور » أصابعه في عيني الجالس الذي أطلق صرخة جذبت انتباه الرجل الثالث المسمى « مويـــيز » الذي كان الآن في الطابق الأعلى . فقال خالد :

– أسرع يا وليد وانتظره عند أول الدرج .

كان الموقف دقيقاً ، ولكن النهاية كانت سريعة .. فقد قيد عصام ضحية « فينو » برباطة عنقه واضعاً يديـه خلف ظهره ، أما خالد فقد انقضّ على الثاني ، وألقـاه أرضاً ، وانحنى بمعونة عصام ودسّ بمنديله في فمـه حتى لا يستطيع الصياح في الوقت الذي جذب فيه عصام رباط عنقه وقام بتقييده .

قال خالد هامساً :

– « فينو » .. « سرور » أسرعا إلى وليد .

والتفت إلى عصام وقال :

– قيّدْ أرجلهما بأربطة أحذيتهما والحقْنا إلى أسفل الدرج.

وبسرعة البرق كان خالد عند أسفل الدرج ، فكمن مع « فينو » في الجانب الأيمن ، بينما كمن وليد مـع « سرور » في الجانب الأيسر ، وصوت أقدام الرجل الثالث « مويبز » تتناهى إلى أسماعهم وهو يتنقل بسرعة من مكان إلى آخر .

أما عصام فقد حلّ أربطة الأحذية ثم عقد بـين كل رباطين بحيث صارت قدما كل رجل معلقتين إحداهما بالأخرى ، وصار المشي متعذراً عليهما فـيما إذا قاما . وأسرع عصام لينضم إلى الكمين المتربص عند أسفل الدرج .

وسمع الجميع وهم في مكمنهم صوت انصفاق أبواب في الطابق الأعلى ثم صوت مويبز يصرخ من أعلى الدرج قائلاً :

– حايم .. حايم .. اصعد حالاً ..

ولما لم يسمع جواباً من حايم شرع يهبط الدرج ليرى مـا حدث لحايم وقد أمسك بيده مسدساً ضخماً .

راح يهبط الدرج في بطء وحذر ، ولما وقع بصره وهو بعد في نصف الدرج على رفيقيه مقيدين مكممين شدد من قبضته على مسدسه ، وزاد من حذره وهو يهبط .

وما كادت رجله تمس الدرجة الأخيرة حتى فوجىء بضربة قوية على يده أطارت المسدس منها ليستقر على الأرض بعيداً عنه . وقبل أن يستفيق من المفاجأة كان كل شيء قـد تمّ وانتهى .. « فينو » دفعه نحو الأرض و « سرور » جثم فوق صدره وراح يدغدغ أذنيه بأنيابه الحادة ، والثلاثة الفتيان الشياطين أمسكوا بـه من كل جانب ، ووليد سدّد نحو فكه لكمة فولاذية كادت تخلع عنقه .

وبعد أقـل من دقيقة كان إلى جوار زميليه مكبلاً مكمماً .

ووقفت الفرقـة الظافرة تنظر إلى نتيجة عملها بفرح وسعادة عندما قال خالد :

– فلنأخذ هذه الحيوانات الثلاثة الآن ، ولنضمّها إلى باقي القطيع .

وراح وليد فتولى بنفسه القيام بهذه المهمة المرهقة بينما التقط

عصام المسدس الضخم الملقى على الأرض وسار به إلى خالد وهو يقول :

– يا له من مسدس بشع .

أجابه خالد :

– ضعه على هذه المائدة ، وضع معه هذا المسدس الآخر .

ومد إليه يده بالمسدس الذي كان قد صادره من زينب .

كان وليد قد نقل اثنين من الرجال وجاء الآن لنقل الرجل الأخير ، وعندما مضى به التفت خالد نحو « فينو » قائلاً :

– « فينو » .. أحضرْ ليلى بسرعة .

انطلق الكلب الذكي كالسهم لينفذ الأمر ، وعاد بعد لحظات ومعه ليلى التي بدا التساؤل في نظراتها . فقال لها خالد :

– كلهم الآن في قبو الدارة يتناجون بأعذب الألحان !.

وجلسوا جميعاً لينالوا قسطاً من الراحة بعد هذا الجهد الذي بذلوه في هذه الليلة الحافلة بالأحداث عندما قالت ليلى :

– والآن ماذا تنتظرون ؟ لم يبق شيء يقتضي وجودنا هنا.. علينا أن ننصرف على الفور .

قال خالد :

– سنفعل ذلك يا ليلى .. ولكن يجب أن نطمئن على الأسرى حتى لا تأتيهم مساعدة غير منتظرة من الخارج فتفسد

علينا كل شيء .

سألته في حيرة :

– ماذا تعني ؟

أجابها في هدوء :

– يوجد الآن تحت تصرفنا سيارة قوية ، فليذهب بها عصام وأنت معه إلى المنزل ، فإن وجدتما أبانا هناك فأخبراه بما حدث.

وصمت قليلاً ثم قال مستأنفاً :

– ولكن وجود أبينا في المنزل أمر مشكوك فيه لأن ماما ولا شك قد قلبت الدنيا رأساً على عقب .. المهم يا عصام أن تترك ليلى هناك .. وأن تطمئن ماما ، وحاول أيضاً أن تتصل ببابا وتحضره إلى هنا مع قوة كافية من رجال الشرطة .

وانطلق الجميع لوداع ليلى وعصام، وما إن تحركت السيارة بهما حتى قفل خالد ووليد راجعَيْن إلى الدارة ، فجلسا يرتاحان على إحدى الأرائك .

قال وليد :

– يا لها من ليلة صاخبة !

رد عليه خالد قائلاً :

– كل ما حدث أمور اعتدنا أن نراها من كل مجرم .

وصمت قليلاً ثم استأنف يقول :

– والآن يا وليد ألم تعرف حقيقة هذه العصابة ؟

سأل وليد ببلاهة :

– ماذا تعني ؟

أجابه خالد :

– أعني هل عرفت أفراد هذه العصابة ، وطبيعة العمل الذي يقومون به ؟

قال وليد وقد سرّه أن أتاح له خالد فرصة إظهار ذكائه :

– طبعاً عرفت .. فعملهم هو تهريب الذهب ، وأما الأشخاص فهم زينب وخديجة وعبد الباسط وحاييم إلى آخره .

قال خالد :

– زينب وخديجة وعبد الباسط وأحمد وشعبان أسماء مستعارة ، أما الأسماء الحقيقة فبعضها لا يزال مجهولاً .

قال وليد في عدم اكتراث :

– وماذا يهمنا من أسمائهم ؟ المهم أننا انتصرنا عليهم .

قال خالد :

– هذا صحيح .. ولكن ألم يخطر ببالك أن تسأل نفسك لماذا يتخذون لأنفسهم أسماء مستعارة ؟

أجاب وليد :

– لا .. لم أسأل نفسي هذا السؤال .. لا أعتقد أن الأمر له

من الأهمية بالقدر الذي توليه إياه ..

قال خالد :

– على العكس تماماً .. إن أفراد هذه العصابة لم يتخذوا لأنفسهم هذه الأسماء المستعارة إلا بهدف التعتيم على حقيقة العصابة وأغراضها الإجرامية .

قال وليد :

– وهل كشفت أنت هذه الغايات ؟

قال خالد :

– أظن أنني وصلت إلى تكوين نظرية ، ولم يبق سوى التثبت من صحتها .

قال وليد :

– نظرية ؟. ما معنى ذلك ؟

قال خالد :

– نعم وإليك ملخص هذه النظرية .. اعتقد أن هذه العصابة يهودية من رئيسها حتى أصغر فرد فيها ، بدليل وجود أسماء عبرية بين أفراد العصابة مثل حاييم وراشيل وموييز ، وبدليل المسدسين اللذَيْن صادرناهما منهم ، فقد لفت نظري وجود كتابة عِبْرية عليهما ، مما يدل على أنهما صناعة إسرائيلية ، وأن هذه العصابة تعمل لمصلحة إسرائيل .

هنا فقط بدأ الاهتمام يظهر على وليد ، فسأل خالداً :

– هل تعني أن هؤلاء جواسيس ؟

أجابه خالد :

– أغلب الظن أنهم كذلك .. ولكنهم جواسيس من نوع مختلف ..

سأل وليد ببلاهة وقد بدأ يدرك خطورة الموضوع :

– نوع مختلف ؟ ماذا تعني ؟

قال خالد شارحاً :

– عمل هؤلاء الجواسيس ليس جمع المعلومات وإرسالها إلى العدو .. عملهم يقوم على التخريب الاقتصادي .. أي شراء الذهب وتهريبه من البلاد .

قال وليد وقد بدا عليه الفهم :

– يا للأوغاد :!

قال خالد :

– هلم بنا الآن لنتحقق من صحة النظرية .

وهبط إلى الطابق الأسفل عندما سأل وليد :

– ولكن أين « فصيح » ؟

كان خالد قد نسي أمر « فصيح » تماماً في غمار الأحداث ، ولكنه لم يشعر بالقلق عليه فقال :

– لا شك أنه ذهب مع ليلى وعصام .

كانوا قد وصلوا إلى باب الحجرة ففتحه خالد ودخل ومعه وليد ، وأمامهما « فينو » و « سرور » .

التفت الأسرى ونظروا إلى القادمين بعيون ملؤها الفزع .

قال خالد بهدوء :

– كلكم يهود .. أليس كذلك ؟

لزموا الصمت مما يدل على صحة نظريته ، فقال متابعاً :

– كنتم أذكياء في انتحالكم أسماء إسلامية مثل زينب وخديجة وعبد الباسط ، ولكنكم كنتم أغبياء في تصرفكم .. إن العربي إذا قوبل بالعفو أخلص ، ولم يغدر باليد التي تمتد إليه بالمساعدة .. وهذا ما لم تفعله خديجة وزوجها .

تململت راشيل في مقعدها فقال خالد الذي لمح محاولتها :

– تريدين الكلام ؟ لا بأس ..

وأزاح الكمامة عن فمها فقالت :

– أيها الشاب الشجاع.. لماذا لا نتفاهم بدلاً من هذا الخصام؟ ماذا يفيدك تسليمنا للشرطة ومصادرة هذه الأموال الكثيرة ؟ إنها أموال أبي ، وهذا أخي وهي أموالنا لم نسرقها .

ضحك خالد وقال بسخرية :

– أموالكم ؟! ربما كان ذلك حقاً ، ولكن إخراجها بهذه

الطريقة يعد عملاً ضد قوانين البلاد الكريمة التي منحتكم هذه الثروة الطائلة .. إنكم تهدمون اقتصادنا بتهريبكم الذهب من بلادنا .

قالت راشيل بصوت رقيق :

– ربما أخطأنا .. وهل من الصعب على شاب شهم مثلك أن يعفو عنا ؟

ضحك خالد ساخراً ، والتفت إلى وليد وقال متهكماً :

– ما رأيك يا وليد ؟ هل نحل وثاقهم ونتركهم ينصرفون ؟

فغر وليد فمه دهشة وقال ببلاهة :

– ماذا تقول يا خالد ؟ تريد أن تطلق سراح عصابة من الجواسيس اليهود ؟! لا شك أن هذه الأفعى أثرت فيك بكلماتها الناعمة .. هل نسيت أنها كانت على وشك القبض علينا تحت التهديد بمسدسها ؟ ترى أكانت ستصفح عنا لو قبضت علينا ؟

فرك خالد كفيه متكلفاً الحيرة وقال للفتاة :

– ما ذنبي إذا كان رفيقي لا يوافق على العفو عنكم ؟

اتجهت بحديثها إلى وليد وقالت :

– هذا البطل لا يمكن أن يكون إلا متسامحاً ذا خلق رياضي .

تجهم وجه وليد وقال :

– لا .. لست متسامحاً .. ولست ذا أخلاق رياضية مع أمثالكم.

فقالت بنعومة ورقة :

– حتى مع النساء ؟ وهل المرأة كالرجل؟ أفرجوا عن النساء إن شئتم الاحتفاظ بالرجال .

– ازداد وجه وليد عبوساً ، والتفت إلى خالد وقال :

– خالد .. دعنا ننصرف من هنا .

قال خالد متظاهراً بالعطف على الفتاة وزملائها :

– ألا يشفع لهم شيء في نظرك .. حتى ولو اعترفوا لنا بحقيقتهم ؟

كان ما يهدف إليه خالد أبعد من تفكير وليد الذي ظنه ضعفاً أمام تمثيل الفتاة وكلامها المعسول ، فهز رأسه بعنف وقال :

– وماذا يهمنا من اعترافهم ؟ هذا اختصاص المحقق ولن يعدم الوسيلة لانتزاع الحقيقة من أفواههم القذرة .

ودفع بخالد نحو الباب وقال :

– اخرج .. اخرج .. ولا تستمع لكلام هذه الحية .

تظاهر خالد بالأسف ، وخطا نحو الباب فصرخت راشيل بيأس :

– كلمة أخيرة .. سنعطيكما كل ما لدينا من ذهب وماس مقابل إطلاق سراحنا .

ضحك خالد وأشار إلى وليد وقال :

– الأمر ليس بيدي كما ترين .. إذا وافق هو فلا مانع عندي .

استشاط وليد غضباً وقال :

– على أي شيء أوافق ؟ أقسم لأملأن فمها دماً إذا تفوّهت بكلمة أخرى .

مضيا وأغلقا الباب خلفهما ، وصعدا الدرج وخالد غارق في الضحك ، ووليد على غضبه ينظر إليه شزراً ويقول :

– أتضحك ؟ ماذا دهاك حتى تفكر هذا التفكير المجنون؟ أقسم لو كانت رجلاً لحطمت فمه .

جلس خالد وهو مستغرق في الضحك ، وجلس وليد في المقعد المجاور له وهو غاضب حانق وقال بغيظ :

– لا شك أنك مصاب بشيء في رأسك .. أحب أن أعرف الآن ماذا يضحكك ؟

كف خالد عن الضحك وقال :

– أضحك كلما تذكرت وجه الفتاة وهي تظن فيك الفارس الشهم الذي سيلبّي نداءها ، ثم خيبة أملها فيك بعد ذلك .

قال وليد وهو يتمطى في مقعده الوثير :

– لقدطالت هذه المهزلةوأنا أكاد أموت جوعاً. هل يعقل أن هؤلاء القوم لا يأكلون؟إن فتشنا فسوف نجد في مكان ما شيئاً يؤكل.

ولكن ضحكة نسائية رنت فجأة وسمعا صوتاً ساخراً يقول:

– والآن ارفعوا أيديكم جميعاً .. إياكم أن تتحركوا .

والآن ارفعوا أيديكم ..

أُخذا على غرةٍ ، فوقفا ورفعا أيديهما إلى الأعلى ، وخالد ينظر إلى « فينو » و « سرور » مستنجداً بهما . ولكن « فينو » كان منبطحاً على الأرض يهز ذنبه غير مبالٍ بالموقف ، وأما « سرور » فكان واضعاً ساقه التي فقدت حذاءها على ساقه الأخرى مقلداً خالداً قبل أن ينهض. وكان هو الآخر يبدو عليه عدم المبالاة بما يجري .

كاد خالد يجن من الغيظ .. كيف يتركان الفتاة تهددهما ولا يحركان ساكناً ؟

تململ خالد كأنه ينبههما إلى الخطر الجديد عندما تعالى صوت الفتاة وهي تكرر تهديدها :

– والآن ارفعوا أيديكم جميعاً .. إياكم أن تتحركوا .

واستبدت الدهشة بخالد حتى كاد يفقد عقله من بلادة سرور

وفينو .. ماذا دهاهما ؟ إنهما يتأملان الموقف وكأن الأمر لا يعنيهما .. هل نسيا كل ما علمها إياه ؟ هل ..

ولكنه لم يستمر في تساؤلاته إذ سطع ضوء باهر ملأ الحديقة وأدرك أن الشرطة وصلت . وهمّ بالتحرك ولكن الصوت النسائي جمده في مكانه ، وعادت صاحبته تردد ضحكتها الساخرة وتقول :

– والآن ارفعوا أيديكم جميعاً .. إياكم أن تتحركوا .

همس خالد :

– يجب تحذير رجال الشرطة حتى لا يقعوا في الفخ الذي نصب لهم .

أجابه وليد :

– وكيف نفعل ؟

تحرك « فينو » نحو الباب وفي أعقابه « سرور » وظل خالد ووليد يرفعان أيديهما ويتطلعان بأمل أن يتنبه القادمون قبل فوات الأوان .

كانت ليلى وعصام أول من ظهر من الباب ، وما إن وقع بصرهما على خالد ووليد حتى جمدا في مكانهما ، ولكن رجال الشرطة تدفقوا داخله فقالت ليلى :

– ماذا دهاكما .. لماذا ترفعان أيديكما هكذا ؟

ولكن الصوت النسائي عاد يكرر :

– والآن ارفعوا أيديكم جميعاً .. إياكم أن تتحركوا .

وأطاع الجميع الأمر إلا ليلى التي رمت ببصرها نحو مصدر الصوت ، وانطلقت تضحك وهي تشير بأصبعها . استدار خالد ببطء ونظر إلى حيث تشير فرأى «فصيحاً» يقف على «الدرابزين» وهو يردد الكلمات التي حفظها من راشيل عندما هددتهم أول مرة.

ولم يسع خالداً إلا الضحك بينما استدار وليد وأسرع يعدو ليقبض عليه وهو يقول :

– يا ابن الشيطان .. أقسم لأعطينك درساً لن تنساه .

ولكن « فصيح » طار مسرعاً وهو يستغيث :

– ليلى .. ليلى ..

وانتهى المشهد المضحك ، وسار خالد يرشد ضابط الشرطة إلى مكان الأسرى فكبلوهم بالأصفاد وساقوهم إلى سيارات الشرطة تحت الحراسة . وجلس الضابط الشاب بين فرقة المغامرين وهو يقول :

– سيصل السيد المفتش خلال لحظات .. وأنا أهنئكم من كل قلبي على هذا العمل الباهر .

ولم تمض دقائق معدودة حتى وصل المفتش جميل وفي رفقته مساعده ماهر ، فحصر المضبوطات وصادرها كما صادر المسدسين

بعد أن فحصها بعناية وقال :

– صناعة إسرائيلية .

ونظر إلى المغامرين وقال :

– عمل طيب ، ولكنكم ستنالون عليه عقاباً .

حاول خالد أن يتكلم ولكن أباه أسكته قائلاً :

– لا أريد سماع كلمة واحدة .

وتعالى صوت «فصيح» الذي عاد إلى مكانه الأول وهو يقول:

– والآن ارفعوا أيديكم جميعاً .

قطب المفتش حاجبيه، وكاد يطيع الأمر، لكن ضحك ابنه خالد مع ليلى جعله يعدل وينظر خلفه وهو يسمع ابنه يقول :

– إنه « فصيح » .. لقد سمع الفتاة تهددنا بمسدسها فحفظ كلماتها .. لقد تركنا أنا ووليد نصف ساعة وأيدينا مرفوعة إلى الأعلى .

ذابت غضبة المفتش وهو يقول لماهر :

– ثلة من الشياطين !!

تدخل ماهر قائلاً :

– ألا تشفع لهم عندك بطولتهم هذه المرة ؟

انفرجت أسارير المفتش فهجم عليه خالد يقبله فقال له :

– لن أصفح قبل أن أسمع تفاصيل المغامرة بحذافيرها .

طبع في دار النفائس - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من

« المغامرون الأذكياء »

١ ـ واحة الاشباح
٢ ـ العصابة الخفية
٣ ـ بائعة الورد
٤ ـ خمسة جنيهات ذهبية
٥ ـ بيت الاسرار
٦ ـ سجين القلعة
٧ ـ سر العصافير
٨ ـ الكنز الاغريقي
٩ ـ تاجر المجوهرات
١٠ ـ عش الثعلب
١١ ـ مغامرة في الصحراء
١٢ ـ بائع الناي
١٣ ـ رسول منتصف الليل
١٤ ـ المهرب المجهول
١٥ ـ السجين الهارب
١٦ ـ القصر المهجور
١٧ ـ الكرة الحمراء
١٨ ـ مروض الحيات
١٩ ـ المجوهرات العائمة
٢٠ ـ منزل من ذهب
٢١ ـ المنطاد الأسود
٢٢ ـ الانتقام الرهيب
٢٣ ـ العناكب الحمراء
٢٤ ـ الطائرة الفضية
٢٥ ـ رسالة مجهول
٢٦ ـ الحقيبة السوداء
٢٧ ـ السائح المزيف

رقم : 79-63/5


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net